ممن يصل اليه بما أتعبت فيه نفسي وأجهدتها فيه وأطلت فيه فكري فيأخذه عفواً وأهديته اليه هنيئاً فيكون ذلك أفضل له من كنوز المال وعقد الاملاك اذا تدبره ويسّره الله تعالى لاستعماله وأنا راجٍ في ذلك من الله تعالى أعظم الأجر لنيتي في نفع عباده واصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل نفوسهم وبالله أستعين

﴿ فصل في مداواة النفوس واصلاح الأخلاق ﴾

لذة العاقل بتميزه ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم بحكمته ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده أعظم من لذة الآكل بأكله والشارب بشربه والواطئ بوطئه والكاسب بكسبه واللاعب بلعبه والآمر بأمره وبرهان ذلك أن الحكيم والعاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سميناها كما يجدها المنهمك فيها ويحسّونها كما يحسها المقبل عليها وقد تركوها وأعرضوا عنها وآثروا طلب الفضائل عليها وانما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر

اذا تعقبت الامور كلها فسدت عليك وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا الى أن الحقيقة انما

هي العمل للآخرة فقط لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن اما بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من أحد هذين الشيئين الا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال سرور فى عاجل وآجل أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس وانك به معظم من الصديق والعدو وأما فى الآجل فالجنة

تطلبت غرضا يستوي الناس كلهم فى استحسانه وفى طلبه فلم أجده الا واحداً وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستووا فى استحسانه فقط ولا فى طلبه فقط ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم وتباين هممهم وارادتهم لا يتحركون حركة أصلا الا فيما يرجون به طرد الهم ولا ينطقون بكلمة أصلا الا فيما يمانون به إزاحته عن أنفسهم فمن مخطئ وجه سبيله ومن مقارب للخطأ ومن مصيب وهو الاقل من الناس فى الاقل من أموره فطرد الهم مذهب قد اتفقت الامم كلها مذ خلق الله تعالى العالم الى أن يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على أن لا يعتمدوا بسعيهم شيئاً سواه وكل غرض غيره ففي

الناس من لا يستحسنه اذ فى الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة وفي الناس من أهل الشر من لا يريد الخير ولا الامن ولا الحق وفى الناس من يؤثر الخمول بهواه وارادته على بعد الصيت . وفى الناس من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده ككثير من الانبياء عليهم السلام ومن تلاهم من الزهاد والفلاسفة . وفي الناس من يبغض اللذات بطبعه ويستنقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كاكثر من ترى من العامة وهذه هى أغراض الناس التى لا غرض لهم سواها

وليس فى العالم مذكان الى أن يتناهى أحد يستحسن الهم ولا يريد طرده عن نفسه فلما استقرّ في نفسي هذا العلم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة الى طرد الهم الذي هو المطلوب للنفس الذي اتفق جميع أنواع الانسان الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم أجدها الا التوجه الى الله عز وجل بالعمل للآخرة . وإلا فانما طلب المال طلابه ليطردوا به همّ الفقر

عن أنفسهم وانما طلب الصوت [1] من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الاستعلاء عليها وانما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم فوتها وانما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل . وانما هشّ الى سماع الاخبار ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحّد ومغيب أحوال العالم عنه وانما أكل من أكل وشرب من شرب ونكح من نكح ولبس من لبس ولعب من لعب واكتنّ من اكتن وركب من ركب ومشى من مشى وتودع من تودع ليطردوا عن أنفسهم اضداد هذه الافعال وسائر الهموم . وفي كل ما ذكرنا لمن تدبره هموم حادثة لابد لها من عوارض تعرض في خلالها وتعذّر مايتعذر منها وذهاب مايوجد منها والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة وأيضاً نتائج سوء تنتج بالحصول على ماحصل عليه من كل ذلك من خوف منافس أو طعن حاسد أو اختلاس راغب أو اقتناء عدوّ مع الذم والاثم وغير ذلك . ووجدت العمل للآخرة سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر موصلا الى طرد الهم على الحقيقة ووجدت

(١) الصوت كالصيت والصات والصيتة الذكر الحسن اه قاموس

العامل للآخرة ان امتحن بمكروه فى تلك السبيل لم يهتم بل يُسرّ اذ رجاؤه فى عاقبة مايناال به عون له على مايطلب وزايد فى الغرض الذى إياه يقصد . ووجدته ان عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم اذ ليس مؤاخذاً بذلك فهو غير مؤثر في ما يطلب . ورأيته ان قصد بالاذى سُرّ وان نكبته نكبة سر وان تعب فيما سلك فيه سر فهو فى سرور متصل أبداً وغيره بخلاف ذلك أبدا . فاعلم انه مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد وهو العمل لله تعالى فما عداهذا فضلال وسُخْف

لاتبذل نفسك الا فيما هو أعلى منها وليس ذلك الافي ذات الله عز وجل فى دعاء الى حق وفى حماية الحريم وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى وفى نصر مظلوم وباذل نفسه فى عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى

لامروءة لمن لادين له

العاقل لايرى لنفسه ثمناً الا الجنة

لإبليس في ذم الرياء حِبالة وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان يظن به الرياء